

محاكمة مبارك: حرب تلفزيونية على الثورة

انصار الديكتاتور، كومبارس عصابته، يلعبون دورهم الأخير ربما

غادر الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك المحكمة في عربة إسعاف، وابناه في سيارة ترحيلات، بعدما أدوا أدوارهم في «حرب» تلفزيونية على الثورة. عائلة تعسة، تعرض جبروتها الغارب خلف القفص، ويقرر القاضي ضم قضية مبارك وأولاده مع قضية وزير الداخلية الأسبق الحبيب العادلي ومساعديه،

لينضم الديكتاتور مع حراسه في تهمة قتل الثوار. القاضي أوقف البث التلفزيوني المباشر، وهذا ما يحرم العائلة التعسة من مسرحها الوحيد تقريباً. قرار قد يكون فيه إنقاذ للثورة من أسر التلفزيون وتحويلها إلى مسلسل يتابعه «جمهور لكتب»

السياسة في أيام مبارك نزعته الى ان تكون «أوبرا صابون»



مبارك خلال محاكمته أول من أمس في القاهرة (رويترز عن التلفزيون المصري)

إنهاء مسلسل «العائلة التعسة»

وانك عبد الفتاح

I

الديكتاتور يتناهب. جرعة المنوم أو المهدي زائد في الجلسة الثانية. الديكتاتور ينام على الهواء وإمام جماهير أفسد حياتها 30 سنة الجماهير ترى غروبه لحظة بلحظة. تراه هو وأولاده في معركة يعرفون انها تلفزيونية، لحظات الظهور هي فرصتهم الوحيدة لتوصيل رسالة بأنهم قادرون على التبرجج. النظرات التي تبدو واثقة، مصنوعة من «أبطال» يتصرفون بإحساس الهروب من مصير مجهول. الديكتاتور بالرؤب دي شامبر، بملابس البيت، القفص أصبح امتداداً لبيته. انه تلفزيون واقع سياسي. والمعركة تدار امام الشاشات ليبدو مبارك بمؤيدي يمارسون العنف لتعطيل المحاكمة. والصحافة تكتب: حرب بين مؤيدين ومعارضين للرئيس السابق.

هذه محاولة لكي يدخل في اللاوعي أن المحاكمة خطوة ليست نهائية، وأن «الزمن» سيعود الى ما قبل 25 كانون الثاني. كيف يكون للديكتاتور معارضون وهو الآن مجرد متهم؟

انصار الديكتاتور، كومبارس عصابته، يلعبون دورهم الأخير ربما، مجرد بلطجية لا مشروع سياسي لديهم سوى صور مطبوعة بركاكة وبخاء وصرخات ووجوه محفور عليها مشاعر هستيرية. هل هذا كل ما تبقى من نظام مبارك؟ ام المشهد المقصود امام التلفزيون: رجل عجوز في لحظة الخرف، ينام بملابس البيت وعلى سرير المرض وأولاد متماسكون، ومؤيدون يطاردون أسر الشهداء مشهد لا وجود له خارج الشاشة. مبارك وعائلته ونظامه بلا قيمة الآن، اسلحته منزوعة، ووجوده اسير قوى غير مرتبة تدفعه الى المجهول.

ماذا سيفعل مبارك اذا حصل هو وأولاده على البراءة؟ هل يعودون الى البيت؟

II

إنها عائلة ملعونة بشهوتها في خلود السلطة، وتحاول الدفاع عن نفسها على طريقة المسلسلات التلفزيونية. والإعلام

«مسلسلات».. لا حسم، ولا نهاية متوقعة، لكن تطويل مرهق يبرد الحدث، غير أنه لا يمنع من متابعته، وتحويله من «صدمة» الى «حكاية» يمكنها ان تشغل الليالي المملة بتصاعد مثير للحدث.

العقل السياسي الذي حكم مصر في الخمسينيات والستينيات اعتمد على فكرة الصلابة واختار «الخطابة» تراثاً قديماً يعبر عن فروسية البطل وتراث حديث يصعد فيهما الزعيم الملهم الى الشرفات ليحدث الحشود الغفيرة ويعلمها ويمنحها دروساً في التاريخ.

عبد الناصر اعتمد على الخطابة، بما انها ساحة مواجهة وحسم لمعارك مع الاعداء، صلابة بلا دراما. السادات درامي اكثر، وخطاباته لم تخل من درامية «البطل السينمائي». برامج السادات الحكائية كانت تكمل صورته «الريفية» المعتمدة على روايات شفاهية تحوله في الليالي الى اسطورة، تسيطر على عقل مشاهد يرى فيه «عمدة» بلا بطولات، لكنه الحكيم والداهية وصاحب الخبرة والمقام والمركز الاجتماعي.

مع مبارك أصبحت المسلسلات حقيقة واقعة، وترسخت اشكال «أوبرا الصابون». الحلقات تحول الزمن الى سائل بلا مواجهات مع حدث يعينه، وتنقل المواجهة كلها الى المشاعر، وهو ما يمنح أوبرا الصابون طابعها الرومانسي، وتأثيرها العاطفي المبالغ فيه، وخصوصاً أن جمهورها الأساسي ربات البيوت او المقيمون امام الشاشات.

السياسة في أيام مبارك نزعته الى ان تكون «أوبرا صابون» لأنها تناسب «العقل الهلامي» المشغول بالوجود في اللحظة، لا ماض ولا مستقبل. هكذا يظهر نجوم عصر مبارك وحراسه في برامج التلفزيون على أنهم ضحايا لا مشاركون في جريمة مبارك. حراس مبارك ليسوا طرفاً في الحاضر، إنهم شهود على غروب الجنرال الأخير، لكن تقديمهم على أنهم ضحايا مؤامرة هو نوع من المساواة بين الجلال والضحية او منح القاتل فرصة ليفلس جريمته قبل محاكمته عليها. عقلية المسلسلات تبحث عن دموع المشاهد والهدف واضح: ان يتحول الفرد الى متفرج، وتتحوّل الثورة الى مسلسل.

المجهول المنتظرانها حقاً عائلة تعسة، تتعامل بسلطانها لقديم، وتواجه الناس ببجاجة. وهي تنتقل بين سيارات الاسعاف وسيارات الترحيلات الى متاهة لا يعرفون خريبتها.

III

انهم يريدون تحويل الثورة الى مسلسل تلفزيوني. المسلسل هو الفن الوحيد الذي تطور في عصر مبارك. فيض لا يتوقف، ولا يمكن تأمله او متابعته، له موسم كبير في شهر رمضان، ومواعيد ثابتة، يسعى فيها المسلسل الى اللهايات وراء المشاهد وليس العكس.

المسلسل عقلية كاملة، سيطرت على صناع القرار من التلفزيون والبيزنس الى السياسة وقصور الحكم. كل القضايا الكبرى تحولت في عصر مبارك الى

أخرى لجيش الدفاع عن مبارك ونظامه وأيامه. مبارك النائم في القفص، بالملابس البيتية، مستسلماً لتأثير مهدي قوي، لم يحفظ اولاده من قبضة المجهول... تركهم اسرى تأثير خبرتهم التلفزيونية، ودرجة قوة المهدي.

جمال في الجلسة الثانية دخل كهفه، بينما كان علاء الاكثر فظاظة. كلاهما في لحظات الدفاع اليائس ضد لعنة لا يعرف احد آخرها. الأب النائم ديكتاتور، لكنه اب، وزعيم ما فنيا انتهى دوره، مازال معلقا بين لحظتين، عرف الاولى يوم التنحي ويوم قال «حاضر يا فندم»... ولا يعرف ماذا ستكون اللحظة الثانية.

القاضي أنهى اليوم المعركة التلفزيونية. وهذا ما قد يصيب الديكتاتور وعائلته بالاكتمال، فقد ضاعت فرصتهما في اظهار قوة مصنوعة في مواجهة

لم يصل الى مستوى اللحظة ويتعامل إما بخبث او بسذاجة مع الوضع ليصنع من اشلاء مبارك طرفاً في المعركة، فتظهر وجوه من المحاربين القدامى في جيشه، يظهرون على الشاشات، ويكشفون عن بضاعة منتهية الصلاحية، مستهلكة، لكنها تستخدم لكي تلتهمها الة الاستهلاك الكبيرة الدراما الفاقعة في المحاكمات تقول إن المشهد اصغر من الثورة، وإن وضع الفرعون في القفص، لم يعد كافياً للشعور بان الثورة تحققت. الديكتاتور في القفص، لكن الديكتاتورية تطل من خلف شبكة مصالح واسعة تريد منع الثورة من الاستمرار.

وهذا ما يتحقق عبر السيطرة على الإعلام والتلفزيون، الذي يريد استهلاك الثورة وتحويلها الى موضوع تصبح فيه مجرد وجهة نظر، تقابلها وجهة نظر

«كتلة لمجابهة الإسلاميين»

الداعية الانتخابية في كيان واحد. وأيدت الكتلة أيضاً اقتراحاً من حكومة عصام شرف يدعو إلى إصدار «إعلان دستوري» يمنع الإسلاميين من احتكار وضع الدستور الجديد إذا فازوا بالغالبية في البرلمان. وإلى جانب الجبهة الديموقراطية، تضم الكتلة حزب المصريين الأحرار وهو حزب ليبرالي يقوده رجل الأعمال نجيب ساويرس (الصورة)، ونقابة الفلاحين المستقلة وحزب التحرير الصوفي وحزب التجمع الوطني التقدمي وهو حزب يساري، كما انضم حزب الوفد إلى الكتلة أول من أسس بعدما انفرط تحالفه مع الإخوان المسلمين الأسبوع الماضي. (رويترز)



أعلن ليبراليون وحزب يساري وحزب صوفي أمس تشكيل كتلة سياسية باسم «الكتلة المصرية» لمجابهة الإسلاميين في الانتخابات التشريعية التي ستجرى في تشرين الثاني المقبل. وقال مؤسس حزب الجبهة الديموقراطية، وهو حزب ليبرالي كان في المعارضة في عهد الرئيس المخلوع حسني مبارك، إن الهدف من الكتلة هو أن يقول المشاركون بوضوح شديد إنهم مؤمنون بأن مصر يجب أن تكون دولة مدنية ديموقراطية. واتفقت الكتلة التي ضمت 15 جماعة سياسية على العمل معاً لجمع التبرعات للانتخابات وأن تتقدم بقائمة مرشحين موحدة وأن تخوض حملة